

محمد بن عبد الكبير الكتاني (أبو الفيض)

- سيرته، أعماله وأرائه الاصلاحية -

Mohammed bin Abdul Kabir Al-Kettani (Abu al-Flaid)

-His biography, his work and his reformist views-

الدكتور البشير البونوحي*

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - كلميم وادنون. المغرب

eelbounouhi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/29 تاريخ القبول: 2020/10/18 تاريخ النشر: 2020/12/30

ملخص: يعتبر الشيخ الكتاني من دعاة الاصلاح الذين ظهوروا أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م، وهي الفترة التي شهد فيها المغرب عدة مشاكل وتحديات خصوصا في فترة السلطان عبد العزيز، الشيء الذي تمخض عنه ثورات وفتن وتفاقم الديون... ورغبة منه في اصلاح أحوال الأمة توجه محمد بن عبد الكبير الكتاني نحو الدعوة والهدايا والارشاد، في محاولة منه الى نشر دعوته وطريقته الكتانية. كان لأعماله الدعوية نتائج ايجابية خصوصا محاربتة لأصحاب الامتيازات الأجنبية والموالين للكفار وانتقاده للاحتماء بالأجنبي، الشيء الذي جر عليه انتقادات ومضايقات من طرف الحاقدين عليه، واتهامه من طرف علماء عصره بالتحضير للانقلاب على السلطان، بعدما داع صيته وتفوقه عليهم، مما أكسبه ثقة كبيرة في مراميه الاصلاحية وسعى أكثر الى محاولة التغيير. غير أنه تعرض لعدة محن انتهت آخرها بسجنه ووفاته في عهد المولى عبد الحفيظ.

الكلمات المفتاحية: الكتاني - الاصلاح - أبو الفيض - المحن.

Abstract: El Cheikh El kattani was one of the pioneers who called for reform towards the end of the 19th century and the beginning of the 20th century. this is the period when Morocco experienced several difficulties and challenges, especially during the reign of Sultan Abdelaziz, which generated ... unrest, revolts and debts

And in order to improve the degraded conditions of the nation, Mohammed ben Abdelkbir El Kattani began his reform by appealing to wisdom and reason by trying to convey his kattania theory So, all of his preaching work had positive effects especially when he fought against the privileges reserved for foreigners and he criticized the allies of heretics or the fact of asking Westerners for help which cost him reproaches and harassment of his enemies and the ulemas of the time who accused him of plotting for an uprising against the Sultan and this after To have surpassed them in science and in fame which gave him more confidence in his reformist ends and he launched himself more into his attempt at change. However, he encountered several .difficulties including imprisonment and death during the reign of Moulay Abdelhafid

Keywords: EL kattani - Reformation - Abu al-fayd - Tribe

تقديم

لقد كانت ولادة محمد بن عبد الكبير الكتاني (أبو الفيض) في منتصف ربيع الأول عام 1290 هـ بمدينة فاس، تربى في حجر والده، قرأ القرآن وتعلمه منذ صغره في الكتاب فحفظه في سن مبكرة، التحق ببعض المدارس والزوايا بفاس قبل أن يتم تعليمه بالقرويين، لازم الصلاة منذ صغره وكان يصلحها مع الجماعة في وقتها مع أبيه، حفظ أمهات المتون، وأول ما حفظه الحكم العطائية، زوجه أبوه قبل البلوغ صيانة له¹.

تتلذذ أبي الفيض على يد كبار علماء عصره بالعاصمة العلمية للمغرب، كان ينتقل بين المدن المغربية طلباً للعلم، خصوصاً بالرباط وسلا ومكناس، ظهر نبوغه مبكراً، حتى أنه كان ينعزل عن الناس انعزالاً كلياً لطلب العلم، وكان من شدة اعتناؤه بالعلم يقرأ مختلف العلوم، نبغ في كثير من الفنون المنطوق منها والمفهوم، وتبحر في علم التفسير وأدواته وعلم السنة، واصطلاحاته، والأصول والكلام، والفقه حتى بلغ فيه درجة الاجتهاد، وفلسفة التشريع، والتاريخ والسيرة، والأنساب واللغة، وعلمي المعاني والبيان، وعلم الحكمة والمنطق، والعلم الإلهي، وعلم الهندسة، والعلم الأرتماطقي، وعلم الموسيقى، وعلم الهيئة، وعلم التصوف، وعلم الرقائق، وعلم الحقائق، وعلوم الحروف، وعلم سر الحروف، وعلم المناسبات، وعلم المفردات... وغير ذلك²، وكان عمدته في ذلك الشيخ أحمد بن محمد العلمي الحراقي³.

يعتبر الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية، وينحدر من السلالة النبوية وهو من أحفاد الأدارسة، أمه فضيلة بنت ادريس المتوفاة بفاس سنة 1334 هـ، نشأ في أسرة اتسمت بالحشمة والوقار، وفي بيئة عالمة صوفية، اشتهرت بالدين والتقوى والصلاح، كان كثير التردد والزيارة لأهل العلم والخير والفضل، ميالاً للتصوف والصوفية منذ صغره، قليل الاختلاط بالناس⁴، توفي الشيخ الكتاني عام 1327 هـ⁵.

¹ - من رسالة والده إلى الصدر الأعظم في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، ابن العباس أحمد بن موسى السوسي، أنظر ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المسماة: أشرف الأمازي بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، محمد الباقر الكتاني، تقديم: محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق: نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، ص: 71.

² - الكتاني محمد بن عبد الكبير الحسني، (أبو الفيض)، الذب عن التصوف المسمى لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريف الأحمدية الكتانية، مراجعة وتقديم محمد حمزة بن علي الكتاني، تحقيق عدنان بن عبد الله زهار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص: 18.

³ - أنظر ترجمته في المظاهر السامية، ومعجم الشيوخ، والشيخ محمد الكتاني الشهيد، ومدرسة الإمام البخاري في المغرب، والأعلام للزركلي، معجم المطبوعات المغربية لإدريس الماحي، وروض الجنان لمحمد بن المعطي العمراني، وموسوعة أعلام المغرب تنسيق محمد حجي وغيره.

⁴ - الكتاني يوسف، الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الإمام المجدد، مجلة السنة النبوية، العدد 11، طبعة مارس 2015، دار أبي رراق للطباعة والنشر، ص: 13.

⁵ - أنظر ترجمته عند كل من:

- الكتاني عبد الحمي (شقيقه)، المظاهر السامية، مخ، خ.ع، الجزء الأول، ص: 109.

- الكتاني محمد الباقر (ابنه)، ترجمة الشهيد، م.س..

الشيخ أبي الفيض الكتاني قام بصحبة علماء كبار من أتباع طريقته⁶ لأداء مناسك الحج سنة 1321 هـ، فتوجه إلى مصر مارا بالجزائر ومرسليا، حيث استقبل فيها من طرف أميرها والولاة وعلماء الأزهر، فكان لقاءه بخديوي مصر عباس حلمي باشا، وبعدها توجه إلى مكة والمدينة التي استقبله فيها شريف مكة الأمير عون، وبعد إقامته لشعائر الحج كان يلقي دروسا يحضرها العلماء والطلبة، وبعد عودته إلى المغرب عرج إلى الجزائر والتقى واليها وعلمائها، ولما وصل إلى طنجة نزل بقصر السلطان⁷ ثم دخل فاس في ربيع الثاني من عام 1322 هـ.

وكان قبل ذلك سنة 1320 هـ قد اعتبره المولى عبد العزيز مستشارا له، لعلمه وذكائه وسيرته الحسنة بين القبائل وفي المدن⁸، وبعد عودته إلى المغرب كان قد ترسخت في ذهنه افكارا اصلاحية، سعى إلى تطبيقها في البلاد من أجل تحصينها ضد التكالب الاستعماري، مستعينا بتلة من المفكرين الاصلاحيين العرب الذين زاروا المغرب أمثال عبد الكريم مراد، وخير الدين التونسي.

1- أساتذته:

تتلمذ محمد بن عبد الكبير الكتاني على يد شيوخ عصره، وكان شيخه الأول هو والده عبد الكبير الكتاني⁹ الذي اخذ عنه بصحيح البخاري وصحيح مسلم، والتفسير والحديث بصحيح الترمذي، والفقه والصفاء، والشمائل وغيرها،

6- الفاسي عبد الحفيظ: "معجم الشيوخ"، 45/1.

7- القيطوني ادريس، "معجم المطبوعات المغربية"، تقديم الشيخ عبد الله كنون، مطابع سلا، 1988، ص: 303.

8- "الإعلام" للمراكشي. 155/7.

9- "الأعلام، للزركلي، 214/6.

10- موسوعة أعلام المغرب، تنسيق محمد حججي، 285/8.

11- حمزة بن علي الكتاني " من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، ص: 11.

12- الموسوي اسماعيل، "الديوانة"، ص: 26.

13- وعلى رأسهم أبي الحسن علي بن عبد القادر العدلوني الدمناطي، وأبي بكر بن محمد التطواني، ومحمد الصالح العمراني، وعبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني، الذي دون رحلته في كتابه "اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية".

14- الكتاني يوسف، الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الإمام المجدد، مجلة السنة النبوية، عدد 11، طبعة مارس 2015، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ص: 18.

15- الكتاني محمد حمزة بن علي، في الذكرى المئوية لاستشهاد زعيم الحركة الدستورية في المغرب الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006، ص: 5.

16- عبد الكبير الكتاني (حبل السنة والدين)، ولد بفاس سنة 1268 هـ، زار تونس وطرابلس وحج سنة 1286 هـ، التقى بالكثير من العلماء له عدة مؤلفات وحواشي على "الصحيح" و "الشمائل" وكتاب في الحديث.... ترجم له النبهاني في "جامع كرامات الأولياء" وابن جعفر في "النبذة"، كما ترجم له ابنه الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "المظاهر السامية"، توفي عام 1333 هـ، ودفن بفاس في الزاوية الكتانية... أنظر ترجمته في: ترجمة الشيخ محمد الباقر الكتاني، م س، ص: 71.

كما أخذ عنه ودرس على يده كتب أئمة التصوف وأمّهاته الشهيرة كالإحياء للإمام الغزالي، والعارف، والحكم العطائية، وعهود الشعرائي، وكتب لشيخ الأكبر الحاتمي والجيلي، والابريز للدباغ وغيرها من مصنفات الأحكام¹⁰.

أخذ كذلك عن خاله أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني¹¹ الذي أخذ عنه الحديث بصحيح البخاري بجامع الأقواس، والفقّه بالمختصر بالقرويين، وعلمي الكلام والسير... كما أخذ عن ابن خاله أبو الفضل محمد بن جعفر الكتاني¹²، والشيخ محمد بن حمدون بناني (فرعون)¹³، والشيخ أبي عبد الله محمد بن التهامي الوزاني¹⁴، والشيخ أبي عبد الله محمد (فتحا) بن قاسم القادري الحسني¹⁵، وأحمد بن خالد الناصري السلاوي¹⁶، الذي أخذ عنه الفقّه بعبادات (المختصر) والشيخ أبي العباس أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني¹⁷، والشيخ حبيب الرحمن الهندي الكاظمي الردلوي¹⁸، والشيخ أحمد بن اسماعيل الحسيني البرزنجي¹⁹، والشيخ أحمد بن صالح العباسي السويدي²⁰، والشيخ ماء العينين²¹.

ودرس كذلك على يد العلامة أبو محمد التهامي بن المدني كنون، والعلامة الحافظ أبو محمد عبد الهادي بن أحمد الصقلي... وغيرهم كثير²².

لقد كانت للشيخ الكتاني اتصالات بكبار العلماء كالشيخ محمد الغياثي الفاسي الذي أخذ عنه الطريقة القادرية، كما أخذ عن الشيخ علي المستاري الطريقة الشاذلية الدرقاوية، وعندما قام بالحج إلى بيت الله الحرام التقى فيها

-
- 10- الكتاني يوسف، الشيخ محمد بن عبد الكبير الإمام المجدد، مجلة السنة النبوية، ع 11، طبعة مارس 2015، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ص: 12.
- 11- الكتاني جعفر بن إدريس (شيخ الإسلام)، كان بصيرا بالمذهب وفروعه، ولد سنة 1246 هـ، له أكثر من مائة تأليف، منها "الرياض الربانية في الشعبة الكتانية" و"الشرب المختصر في رجال القرن 13"، توفي سنة 1323 ودفن بضرخ سيدي الدراس بن اسماعيل بالقباب خارج باب الفتوح بفاس، أنظر ترجمته في: "شجرة النور الزكية"، 433/1، تحاف المطالع: 365/1، رياض الجنة 173/1، وترجمة موسعة في مقدمة كتابية "الدواهي المذهبية للفرق المحمية"، وأحكام أهل الذمة" بقلم حمزة بنعلي الكتاني، طبعة دار البيارق.
- 12- هو مؤلف "سلوة الأنفاس"، أنظر ترجمته في الأعلام: 72/6 و"شجرة النور الزكية"، 432/1.
- 13- الكتاني يوسف، م س، ص: 12.
- 14- أنظر ترجمته في تحاف المطالع، 321/1.
- 15- ولد سنة 1259 هـ توفي في 1331 هـ، أنظر شجرة النور الزكية، 435/1.
- 16- له عدة تأليف أبرزها "الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى" توفي سنة 1311 هـ، أنظر ترجمته في: "سلوة الأنفاس" 35/3، "الأعلام" للزركلي 120/1، شجرة النور الزكية 432/1.
- 17- له أكثر من مائة تأليف، توفي سنة 1343 هـ، أنظر: "سل النصال" ص: 32، "شجرة النور"، 436/1.
- 18- من أعلام الحجاز، توفي بعد سنة 1324 هـ بالمدينة المنورة، أنظر فهرس الفهارس، 8/1.
- 19- مفتي الشافعية بالمدينة المنورة له عدة مؤلفات توفي 1337 هـ/1919 م، أنظر: "رياض الجنة"، للفاسي، 106/1، والأعلام للزركلي 99/1.
- 20- توفي بالمدينة المنورة سنة 1324 هـ، أنظر فهرس الفهارس 202/2 - 328.
- 21- هو الشيخ ماء العينين الحسني الشنقيطي، من أبرز علماء عصره، توفي بتزنت سنة 1328 هـ، أنظر رياض الجنة للفاسي 37/2.
- 22- الكتاني محمد بن عبد الكبير، "الذب عن التصوف... م.س، ص: 18-19.

بكبار العلماء، فأخذ عنهم فكان من كبار من لقيهم حبيب الرحمان الهندي، والشيخ حميد العمري، والشهاب أحمد بن صالح السويدي وغيرهم. لكن يبقى والده عبد الكبير الكتاني موجهه ومعلمه الأول، قال هو عن نفسه فيما حكاه والده "إن كل ما أنا فيه ببركة بثها إلي مولانا الوالد، وهي أنه ذكر لي الفرق بين الصرف والمزج، وأوصاني بالمحافظة عليه، فكل ما أنا فيه ببركة تلك الكلمة والعلوم المستخرجة منها"²³.

2- تلامذته.

لقد كان أبي الفيض يلقي بدروسه يومي الإثنين والخميس بعد العصر إلى المغرب لأنه كان يصومهما، يحفظ السنة ويستحضر أحاديث الكتب الستة المتعلقة بالترغيب والترهيب وصالح الأعمال غالباً.

الشيخ الكتاني قام بإنشاء مدرسة صوفية²⁴ كان لها صيت داخل المغرب وخارجه تخرج فيها فحول العلماء وكبار المرابين ورواد الصوفية، درس على يديه فقهاء كبار أمثال أبو بكر التطواني الذي "وضع له نقطة البدء على كتاب فارغ، وأمر بالانطلاق في التأليف والكتابة في موضوع وحدة الوجود"²⁵.

تتلمذ على يده العديد من طلاب العلم الذين انتشروا بعد ذلك ونشروا أفكاره داخل المغرب وخارجه، قال فيه شيخ الإسلام في الأستانة الشيخ محمد المكي ابن عزوز "إن في الزوايا خفايا وفي الرجال بقايا، وإن أولئك السادات الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله ورسوله، هم العلماء بالله وبرسوله وبالدين، هم المعانون من الله في أوقاتهم وكتبهم"²⁶.

1.2 - من أبرز تلاميذه:

- أحمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني، أحمد بن الطيب الجاوزي، أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي، بناصر بن محمد عبد الحفيظ الكتاني، بنعلي بن الجيلاني الزموري، التهامي بن سعيد الزموري، جعفر الجاوي،

²³-الكتاني يوسف، م. س. ص: 14.

²⁴-التصوف عند الشيخ الكتاني هو زبدة الكتاب والسنة، وأنه مستقل بنفسه مرجعه الكتاب والسنة كما جاء صراحة في كتابه، "مدارج الاسعاد الروحاني"، والتصوف عنده هو الوقوف عند حدود الاسلام، ويستشهد لمعرفة مقام التصوف في الإسلام بالحديث الشريف "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

- أنظر أكثر يوسف الكتاني، حقيقة التصوف وأهدافه عند الشيخ محمد بن عبد الكتاني الشهيد، مجلة أنوار التصوف المغربية، ع 1، الرباط المغرب، ص: 60.

²⁵-، الكتاني يوسف، حقيقة التصوف، م. س، ص: 59.

²⁶- الذب عن التصوف، م. س، ص: 24.

الحسن بن الشريف الاسماعيلي العلوي، خليل حماد، خير الدين التونسي، محمد المنوني الحسني المكناسي، محمد بن حدو المراكشي، محمد المهدي العلوي...²⁷.

3. أهم المحطات النضالية / الإصلاحية للشيخ الكتاني.

1.3 - المحطة الأولى: الفترة العزيزية والمحنة الأولى.

لقد شهد المغرب أواخر القرن 19م ومطلع القرن العشرين مشاكل عدة خصوصا فترة حكم المولى عبد العزيز والتي قال عنها الحجوي "كل من ينظر في التاريخ لا يجد سببا للاحتلال والاستعمار في سائر الأقطار، سوى ظلم الولاة وارتشاء القضاة وضياع الحقوق بين عامل جاهل وقاضي متجاهل، وعن اهتضام الحقوق تنشأ الثورات والفوضى والفتن"²⁸. تمخض عن هذه الوضعية ثورات وفتن واستدانة المخزن من الدول الأوربية... كل ذلك شجع القوى الإمبريالية المتكالبة على المغرب الدخول إليه ومحاولة السيطرة عليه، خصوصا بعد وفاة الصدر الاعظم باحماد الذي ركز على عودة الأمن إلى البلاد وأهمل الإصلاحات التي كانت تشهد بداية وانتعاشا في عهد المولى الحسن في جميع الميادين²⁹، وكان همه هو إحكام قبضته على البلاء بشتى السبل لكن بعد وفاته اختلت أمور البلاد رغم مبادرات المولى عبد العزيز الإصلاحية والتي فشلت في جميع الميادين بسبب رغبة بعض الوزراء في الاعتماد على الخارج وتشجيع قوى دون أخرى في تنفيذ تلك الإصلاحات³⁰.

ولكل ما ذكر وفي رغبته إلى الإصلاح توجه محمد بن عبد الكبير الكتاني نحو الدعوة إلى الهداية والإرشاد في محاولة منه إلى نشر دعوته وطريقته الأحمدية الكتانية، في مجتمع كثر فيه الظلم، والحروب بين القبائل والجهل والخرافات.... ليتوجه إلى القبائل والجال لإرشاد الناس إلى دينهم وتصحيحه لهم، وعدم ولوج المعاصي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...³¹.

²⁷ - أنظرهم في ترجمته الشيخ الكتاني، م س.

²⁸ - بنعدادة آسية، "الفكر الاصلاحى في عهد الحماية"، ص: 125 وكتاب الحجوي "الفرصة الثمينة"، مخطوط بالخزانة العامة 114، الورقة 303.

²⁹ - أنظر: سلسلة تلك الاصلاحات في مظاهر يقظة المغرب الحديث، 135/1 وما بعدها.

³⁰ - مظاهر يقظة المغرب الحديث، 41/2 وما بعدها.

³¹ - ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 84، وكذا خبيبة الكون، م س، ص: 29، أنظر كذلك: مدرسة الامام البخاري في المغرب، 524/2 و532.

وكان الشيخ يتخذ من كل جهة شخصا ذو مواصفات أخلاقية يسند له الرئاسة عليهم، ويسميه "المقدم" كما كان ينتخب من كل قبيلة زارها امرأة بمواصفات خاصة، تهتم بالنساء وتعلمهم دينهم لأنهن شقائق الرجال في الأحكام، وسماها "المقدمة"³².

وقد كانت لأعماله الدعوية نتائج ايجابية، وهو الذي سعى إلى تأسيس زوايا عديدة في مختلف مناطق المغرب، وكانت همته في ذلك تتجلى في ترقى الإسلام وإصلاحه مما أحاط به، فالمسلم في نظره لا يصلح نفسه إلا بالتمسك بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة، من التقوى والمجاهدة والذكر، والنوافل... لذلك كان يوصي بالعلم ومعرفة الله وإتباع الشريعة³³.

كان الشيخ الكتاني عاملا على إحياء السنة، ونصرة مذهب أهل الحديث، ألف في ذلك الجهر بالبسملة في الصلاة وفي القبض بها.... ويشيد بعلماء الحديث والسنة أمثال الأندلسي بقي بن مخلد، والأندلسي والشوكاني.

أثار المصلح الكتاني كذلك مأساة نبذ بعض المواطنين للعادات الإسلامية واستبدالها بالتقاليد الأجنبية، بما في ذلك إهمالهم للمصنوعات الوطنية، وتهافتهم على البضائع المستوردة، "فإننا له على ضعف إيماننا، حتى تركنا الشعائر الإسلامية، وأقمنا الوظائف الرومية، فكيف لا يغلبون علينا وقد هجرنا سنن نبينا، وعمرنا أوقاتنا بسننه والاتهم وبضائعهم وزخارفهم ومحدثاتهم التي تشغل القلوب والأبصار... وتقتسي قلوبنا، وتزهدها في الحرف الإسلامية التي يتمتع بها المساكين وال دراويش الذين غلب عليهم طيب الأكلة"³⁴.

جاء في ترجمته ب "المظاهر السامية": "... همته الكبرى في ترقى الإسلام واصلاحه مما أحاط به، يهتم - كثيرا - بحالة المغرب وجهله وتأخره، ولا حديث له الا في ذلك... يهتم كثيرا بمحادثات أوروبا واتفاقاتها ومقاصدها نحو الإسلام... يتكدر لتفرقات تركيا وكثرة الأحزاب بها. ويجهل أمم المغرب الفظيع أكثر وأكثر كما سعى في تعليم أمم البربر وهدايتهم، وكان يوفد الى كل جهة وفدا لتعليم الدين وآدابه"³⁵.

³² - خبيبة الكون، م. س، ص: 29، وترجمة الشيخ، م س، ص: 86.

³³ - مدارج الاسعاد الروحاني للشيخ محمد الكتاني، أنظر مجموعة رسائل الكتاني - طبع مشيخة الطريقة الكتانية- سلا، أنظر كذلك يوسف الكتاني، حقيقة التصوف وأهدافه عند الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، مجلة التصوف المغربية، عدد 2014/1، الرباط المغرب، ص: 60.

³⁴ - ألف في ذلك كتاب "بيان الآفات في حكم اللعاب المسماة بالكرطة والضامة"، وهو مخطوط منه نسختان في خزانة حفدة المؤلف. أنظر: المظاهر، م. س، ص:

374، أنظر كذلك: ترجمة الشيخ الشهيد م س، ص: 115.

³⁵ - الفاسي عبد الحفيظ المهري، معجم الشيوخ، المطبعة الجديدة بفاس، ج1، ص: 45.

كما كان الشيخ يحارب أصحاب الامتيازات الأجنبية، والموالين للكفار، ويصرح لهم بأنهم نذر الشر على المغرب ويقاطعهم، ويدعو الناس لمقاطعتهم ويتجنب المرور على الأحياء التي يسكنونها³⁶.

وينتقد الاحتفاء بالأجانب حيث يقول: "وعلى كل فالاحتفاء بهم ومصادقتهم واتخاذهم أصدقاء: جرحه في الدين"، وكان ينزعج مما تكتبه الصحف الأجنبية من تطاول على الاسلام، وينذب علماء المسلمين للتصدي والرد عليها بقوله، "وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأفلام -في الحقيقة- لأهل الملة فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفا ولو أن تشترك فيه جمعية دينية، ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه..."³⁷، ورغم ذلك كان محمد الكتاني يستحسن الاقتباس من الحضارة الغربية ما نحن في حاجة إليه من مزايا مثل الحرية وفوائدها والتي قال عنها في رسالة المؤاخاة.

"وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب - اليوم - من النفوذ في العالم، فإنما وصلوا لذلك بأمر، ومنها الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط والعدل والنصح وعدم المحاباة، والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل منصب وما يطلبه، وعدم إهمال بعضهم بعضا، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوع وتيقظ، وعدم إهماله حقه، وعدم رفضه، بخلاف غيرهم"³⁸، كما نادى بعدم الفرقة والاختلاف في العهود الكتابية³⁹.

كان محمد بن عبد الكبير الكتاني يحارب أعدائه ويحاول إصلاح أحوال الدعاة الحاقدين عليه، فقد كن يتعرض لمضايقات من طرف خصومه الذين اتهموه بالعمل والتحضير للانقلاب على السلطان عبد العزيز، وكان اتهام أبي الفيض من طرف علماء عصره بعد مخاطبته أتباعه وأنصاره في الرسالة المسماة برسالة المؤاخاة، بقوله "وقد علمتم إخواني أن شمس الدين اليوم كورت ونجومه انكدرت وجباله سيرت وعشاره عطلت" هذا الموقف من الدين في عصره جر عليه ويلات ومصائب من لدن "حراس العقيدة"⁴⁰.

³⁶ - ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 335، تحدث كذلك عن أصحاب الامتيازات في ختمته "الأجرومية"، التي أملاها بالزاوية الكتانية بفاس سنة 1309 هـ أمام جمهور غفير من مختلف طبقات الشعب وتوجد نسخة منها في مكتبة علي الكتاني، أنظر ترجمة الشيخ، ص: 106-107. أنظر كذلك: رسائل الشيخ محمد الكتاني، ص: 61.

³⁷ - المظاهرات، م س، ص: 374.

³⁸ - نفسه، ص: 374 - 375.

³⁹ - العهود الكتانية، هي المسماة ب "سفن النجاة وكهوف العباد"، وهي مطبوعة ضمن "رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني"، من الصفحة 267 إلى 279، تحقيق حمزة الكتاني وغسان أبوصوفة، 2017، دار الكتب العلمية.

⁴⁰ - الطيب بياض، محمد الكتاني الشيخ ذو الخنتين، مجلة زمان كما كان، عدد 15 أبريل / 15 ماي 2014 ص: 34.

عندما داع صيت الشيخ الكتاني ونبوغه السريع وعلمه الغزير، سعت الأطراف المعادية له إلى تأليب المخزن عليه، خصوصا بعد سرقة الأضواء منهم، لكنه أنكر هذه الاتهامات لیتجه إلى مراكش بطلب من الصدر الأعظم لإثبات ذلك عن طريق التناظر مع كبار العلماء المنكرين عليه⁴¹. ليكون توجهه في الخامس من محرم عام 1314 هـ، فاستقبل من طرف السلطان الذي أكرم وفادته.

جرت المناظرة بقصر الباهية، وشملت علوم متعددة مركزة على القضايا الخلافية في العلوم الدينية والتصوف، وبحضور الوزير أحمد بن موسى، وتضمن النقاش جميع المسائل التي اعترض عليها الفقهاء وكانت سببا في طعنهم في أهليته للمشيخة، بل طال الأمر حتى مظهره وشكله ولباسه، إذ عرف الرجل باعتائه الكبير بمظهره. استمرت المناظرة ما يقارب الشهرين استطاع فيها الشيخ الكتاني إثبات وجهة نظره بالدليل والحجة وفي رسالة له لتلامذته يقول: "وتبرأنا من كل شيء يخالف ظاهر الشرع لا في الماضي ولا في المستقبل، وأما في كتبنا فليس بمخالف لظاهر الشرع، وألزمهم على ذلك إلزاما، فأبدوا من عورات الجهل ما يطوى ولا يحكى ومن وجد خيرا فليحمد الله"⁴².

غير أن الطرفان لم يتوصلا إلى إزالة الخلاف بينهما بعد اشتداد النزاع بين المتناظرين واستحالة الوصول إلى وفاق، وشاءت الصدق أن يكون الشيخ ماء العينين الشنقيطي متواجدا في مراكش، رأى فيه السلطان حكما للفصل في المسألة، فكان اللقاء مع أبي الفيض الذي ألف كتابه في شرح "الصلاة الأنموذجية" فقرضها الشيخ ماء العينين وأثنى على الشيخ الكتاني، ليصدر السلطان عبد العزيز ظهيره بتبرئة الشيخ ومما جاء فيه: "قد أطلعنا الشيخ البركة السني الأفضل الأجل، سيدي ماء العينين على صلاته المعلومة، فسلمها له، حيث لم يجد فيها ما ينكر، وكتب له عليها ما نصه، " الحمد لله وحده والسلام على أفضل من عبده، وهذا، وليعلم الواقف هنا من جميع أهل العلم، ... غفر الله لي وأعاذني من كل خوف، تصفحت كلام هذا السيد الجليل فلم أجد ما انقم عليه فيه مما لا يحتمل تأويلا صحيحا وأظن أن أحد ثلاثة لا ينقم عليه شيئا مما قال... والأصوب عندي أن لا يتعرض له من لم يفهم كلامه، ولأجل هذا آذنا له في قراءة الصلاة المذكورة، لتكونوا من الإذن له على بال، وقد أجبنا ابن عمنا مولاي عرفة بمثله والسلام"⁴³.

41- خبيئة الكون، م.س، ص: 30.

42- نفسها، ص: 31.

43- خبيئة الكون، م.س، ص: 32-33، أنظر كذلك: ترجمة الشيخ الشهيد م.س، ص: 186.

ليكون ابتلاء مراكش قد انتهى وأسقط عنه جميع التهم والأوهام والشكوك ليعود إلى مدينة فاس صحبة السلطان، فاستمر الشيخ في دعوته وارشاده. وقد شبه الباحثين محنة الشيخ بقصص أخرى حدثت مع الإمام البخاري مع أمير بخاري الذهلي، وما وقع للإمام الجنيد والحاتمي، والإمام الشاذلي وأبي المحاسن الفاسي، والشيخ أبي مدين، وابن العربي المعافري⁴⁴.

انتصاره على علماء مراكش ودعم الشيخ ماء العينين له ومرافقته للسلطان عبد العزيز إلى مراكش، أكسبه ثقة كبيرة في مراميه الإصلاحية، وسعى أكثر إلى محاولة التغيير، لكن بعد وفاة الوزير القوي "أبا حماد" الذي قبض على مقاليد الأمور بيد حديدية، وعدم تأثير الإغراءات الأجنبية عليه، اختل النظام وفسدت أحوال المغرب، مما اضطر السلطان إلى نقل عاصمة ملكه من مراكش إلى فاس سنة 1319 هـ، وزاد الأمور تعقيدا قيام ثورة الزرهوني الجيلالي (بوحمارة)⁴⁵، الشيء الذي جعل الشيخ الكتاني يدعوا أتباعه إلى محاربتهم وكان معظمهم مشاركا في الحملة العزيزية على الثائر، كما أصدر مع جماعة من كبار علماء القرويين بيانا طويلا أعلنوا فيه موقف الإسلام من الفتن المذكور⁴⁶، وبدل الكتاني جهدا في تنوير عقول الناس الذين كانوا يعتقدون أن بوحمارة مقدمة من مقدمات المهدي المنتظر، كما أن المترجم له كان على دراية أن الاستعمار الفرنسي هو الذي شجع بوحمارة على القيام بثورته، إضافة إلى أن أبي الفيض تدخل بطلب من السلطان في إرجاع المحلة التي فرت من واد فاس بعد توجيهها لمحاربة الثائر بوحمارة والمتكونة من قبيلتي زمور وكروان⁴⁷.

حارب أبو الفيض الاطماع الفرنسية في المغرب، فقد كانت محاولة الحكومة الفرنسية احتلال المغرب في صورة إدخال اصلاحات إليه، فتوجه الشيخ لمقابلة السلطان ووزرائه شارحا لهم حقائق الأشياء ومبينا الأخطار المحدقة بالمغرب جراء ذلك، وجاء على لسان جريدة "السعادة" وهي لسان السفارة الفرنسية بطنجة "إن السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني قابل جلالة السلطان، وخوفه محذرا إياه من إدخال الإصلاحات بالإيالة، وقيده عقل مولانا بالزهد القولي"⁴⁸.

44- الكتاني يوسف، مجلة السنة، م س، ص: 16.

45- أنظر حوله: المعسول، المختار السوسي، 20/15 والاتحاف، لابن زيدان 399/1.

46- ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 336.

47- نفسه، ص: 344.

48- جريدة السعادة: عدد يوم الإثنين 29 من ذي الحجة 1322 هـ. كذلك الشيخ الكتاني كان من ضمن الأعيان الذين حضروا بين يدي السلطان في مجلس الأعيان لتدارس مطالب فرنسا حول الاصلاحات. وكان رده مطولا على المشاريع الفرنسية المطروحة في الجلسة الثانية، حيث اعترض عليها. انظر الرد وأسماء الحاضرين في المجلس عند المنوني، م.س، ص: 203-204.

لقد بدأت القوى الشعبية في المغرب توحده صفوفها خصوصا بعد الاتفاق الودي 1904م، الذي كان يهدد استقلال المغرب وسيادته، ليرز في الميدان علماء وأشراف وزوايا وتجار ... وشباب لإبراز مواقفهم من التدخلات الأجنبية، النابعة من غيرتهم الوطنية حيث حذروا المولى عبد العزيز من المشاريع الإصلاحية التي تعتزم فرنسا تقديمها بين يديه، كما حثوه على عدم قبول التدخل أو الإشراف الأجنبي، وفي نفس الوقت لم يعترضوا على بعض الإصلاحات على أن تكون من مسلمين شرقيين كتركيا ومصر، ممن لهم إمام بالحضارة الأوربية⁴⁹.

اعتبر الشيخ الكتاني قيام فرنسا باحتلال مناطق وجهات حدودية بحجة أنها ممدودة تاريخيا من أرض الجزائر، بمثابة فاتحة الشر على المغرب، حيث قابل السلطان مرات عديدة شارحا له الوضعية الحقيقية للحدود، فأمره بالرد على طلبات فرنسا ورغبتها في تطوير المغرب بمعية السلطان، وقد نشرت جريدة السعادة⁵⁰ كلمة مطولة تحت عنوان "كل فن يرجع فيه إلى أربابه" كان شطرها الاول تمهيدا للهجوم على المترجم، وشطرها الثاني هجوما عليه⁵¹.

وبعد تزايد الضغوطات على المغرب، دعى هذا الأخير إلى عقد مؤتمر دولي لتطويق التدخلات الأجنبية، واقترح الشيخ محمد الكتاني أن يعقد المؤتمر في المغرب وأن يكون ممثلو المغرب من الناس الذين لهم الغيرة على مصلحة البلاد وأن تكون لهم دراية بميدان السياسة والمعرفة⁵²، غير أن مساعيه لم تتجح ووقع الاختيار على أعضاء لم يكن راضيا عن جلهم⁵³.

عقد المؤتمر بالجزيرة الخضراء سنة 1906م وانتهى بإعطاء عدة امتيازات للدول الأوربية خاصة فرنسا واسبانيا، ليطالب الكتاني بعدم الموافقة على ما جاء في مقررات المؤتمر، لكن الدسائس ومواقف حاشية السوء كما يقول المؤلف كانت سببا في اذعان الملك لمقررات الجزيرة الخضراء.

وعندما تم احتلال الدار البيضاء ووجدة، وجه رسائل دعم للمجاهدين بالشاوية، كما حث أتباعه بكل من زمور وزيان للاتحاق بهم ودعمهم، مما جعل نجمه يسطع بين منافسيه من علماء ورجال زوايا، ويظهر بصورة الزعيم

49- المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ط1، 1405 هـ/ 1985 م، دار الغرب الاسلامي، ج 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ص: 341، 342.

50- في عددها المؤرخ بيوم الإثنين 27 محرم 1323/ الموافق 13 أبريل 1905.

51- أنظر ما قالته الجريدة عند محمد الباقر الكتاني في ترجمة الشيخ، م س، ص: 355.

52- ذكر شخصيات من بينها، تلميذه باشا سلا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد السلاوي.

53- الكتاني محمد الباقر، م س، ص: 355.

القادر بين معاصريه على ضمان عدم قبول وقوع البلد بين براثن الاستعمار، وهو ما أعطى لزاويته امتدادا قويا وسريعا⁵⁴. وقد تحدثت الصحافة الغربية بالمغرب عن ذلك وكان لها مقالات وعلى رأسها جريدة السعادة التي قالت "عندما بلغت حوادث الدار البيضاء جناب المخزن السعيد بفاس، أمرت الحضرة الشريفة، أعزها الله ورعاها، أن تجتمع مع العلماء والأعيان ليشرح وزير الخارجية كيفية وقوع الحادثة، وسبب احتلال الدار البيضاء، فاجتمع الجمع الشريف بدار المخزن، وجاء علماء فاس يتقدمهم الجهد العلامة الفقيه السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، المشهور ببلاغته وفصاحته، والفقيه الأمل ابن القرشي، والفقيه القاضي الهواري... وكلهم من الذين يشار إليهم بالبنان، يوم الحدثن⁵⁵.

كان الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، من بين الذين حضروا⁵⁶ إلى دار المخزن بفاس لحضور اجتماع دعا السلطان إليه بعد احتلال الدار البيضاء ووجدة، وعندما كان وزير الخارجية يلقي كلمته طالبا من العلماء إعلان موقف الإسلام من الأزمة قاطعه الشيخ أبي الفيض، جاهرا بالدعوة إلى الجهاد لاستنقاذ البلدتين من الاحتلال، وأيده في ذلك الفقيه ماني الصنهاجي، دون أن يعلن بمعارضتها بقية الحاضرين من العلماء⁵⁷، وكتبت جريدة السعادة "ولكن للأسف قد كان جواب بعضهم خصوصا سيادة الشيخ الكتاني لا يوافق مصلحة البلاد، ولو كان غير الكتاني المتكلم لعذر على غلظه..."⁵⁸، ليعلن أبي الفيض أن تطبيق مشروع الإصلاحات الفرنسية يتطلب خمسة عشرة سنة من الإعداد⁵⁹.

وعندما لم تأتي جهود الشيخ الإصلاحية أكلها في العهد العزيزي بسبب انشغال الوزراء بمصالحهم الخاصة، شارك الكتاني في بيعة المولى عبد الحفيظ، خصوصا وأن السلطان لم يبالي باحتلال فرنسا للدار البيضاء ووجدة 1907 م، بل أرسل جيشا لقمع المجاهدين في الشاوية، بينما كتب الشيخ الكتاني إلى تلامذته بالشاوية يدعوهم للجهاد⁶⁰.

54- بياض الطيب، م س، ص: 35.

55- ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 357.

56- حضر كذلك: الشيخ عبد الرحمان ابن القرشي، القاضي عبد السلام بن محمد الهواري، الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط، الشيخ المهدي ابن محمد الوزاني، الشيخ محمد ماني الصنهاجي، الشيخ العباس بن احمد النازي.

57- جريدة السعادة، 8 رجب 17/1325 غشت 1907، أوردها المنوني في المظاهر، ص: 342.

58- ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص 358.

59- بياض الطيب، م س، ص: 35.

60- ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 16.

وموازاة مع ذلك ظهرت في فاس ومراكش معارضة للسياسة التي يנהجها المولى عبد العزيز والتي تسببت في ضياع عدة أقاليم، ليقرر العلماء والأعيان خلع السلطان⁶¹.

2.3 - المحطة الثانية: الفترة الحفيظية والمحنة الثانية.

لقد حاول الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني القيام بإصلاح البلاد من نواحي عديدة، وكان يركز في كتاباته على الأخوة والوحدة، والمسائل الفقهية والذكر... من خلال العديد من الرسائل التي يبعثها إلى مختلف القبائل بحيث يدعوهم إلى الجهاد ضد المستعمر، ولم يستثني حتى السلطان الذي كان يقدم له النصائح ويرشده... غير أن ما كانت تمر به البلاد من أزمات وكثرة الديون واحتلال بعض المناطق، جعل المترجم يرى وجوب خلع السلطان، لأن حكمه أصبح غير جائز من الناحية الشرعية⁶².

لذلك وبعد إعلانه لأهل مراكش استعداده للدفاع عن البلاد، وإنقاذها من الاستعمار، راسل المولى عبد الحفيظ أبي الفيض يخاطب وده، لخلع أخيه مولاي عبد العزيز وتوليته مكانه⁶³. وكان يخاطبه ب "والدنا"، ونظرا للظروف التي يمر منها المغرب وافق الشيخ الكتاني التخلي عن السلطان عبد العزيز ومبايعة المولى عبد الحفيظ لكن بشروط لا تصح بيعته إلا بتنفيذها والوفاء بها⁶⁴، مطالبا تطهير المغرب من دنس الحميات، كما دعا الى اقامة العدل، والاخلاص في العمل⁶⁵.

واستغل الكتاني توجه المولى عبد العزيز لمحاربة أخيه في مراكش، ليعلن خلع السلطان بمعية مختلف طبقات أهل فاس، ونصرة عبد الحفيظ كسلطان جديد للبلاد وكان ذلك يوم الجمعة 23 ذي القعدة سنة 1325 هـ، مغلبا بذلك مصلحة البلاد على مصلحته الشخصية.

61- المظاهر، م س، ج 2، ص: 343.

62- خبيئة الكون، م س، ص: 35، ترجمة الشيخ الشهيد، ص: 359 وما تلاها.

63- أنظر نص الرسالة في ترجمة الشيخ الشهيد، ص: 274-275-381.

64- نص البيعة ورد عند محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي في رسالته، "غنية الأنجاد في مسائل الجهاد"، مخطوط، خ م 12313، ص: 92-99، وعند ابن زيدان في الإتحاف، ج 1، ص: 449-453.

65- اجتمع أشرف فاس وعلمائها برئاسة الشيخ محمد الكتاني في فاتح ذي الحجة 1325 هـ الموافق 3 يناير 1908، ووضعوا ستة عشر شرطا لهذه البيعة من أهمها: الحكم بالعدل، ورفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة بالجزيرة الخضراء (الخزيرات)، تقييد سلطة السلطان وخضوعه لمبدأ الشورى، تطهير المغرب من الحميات، عدم استشارة الأجانب في أمور الأمة، ارجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية، رفع ضرر المكوس، وغيرها من الشروط التي كانت سببا في ايفار صدور السلطان عبد الحفيظ على الشيخ الكتاني، انظر هذه الشروط بتفصيل في الصفحة 199 من كتاب ترجمة الشيخ... واتحاف أعلام الناس، لابن زيدان، ج 1، ص: 449.

بيعة المولى عبد الحفيظ حررها العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الواحد ابن المواز⁶⁶. وقد شملت 16 شرطا، وحول ذلك تحدث محمد بن جعفر الكتاني في "النبذة" بقوله ثم إنه وقع ما وقع مما هو مشهور من بيعته للجانب الحفيظي، بفاس بعد خلع أخيه المولى عبد العزيز، واشترطه عليه في أصل البيعة شروطا وافقه عليها الكل فيقال أنه حنق عليه بسببها⁶⁷. وكان الذي أملى الشروط في الضريح الإدريسي هو الخطيب أبو محمد العابد بن أحمد ابن سودة⁶⁸.

وجاء في كتاب "تاريخ تطوان" لمحمد داود: "وقد وقفت على كتاب أرسله الشيخ سيدي محمد الكتاني، شيخ الطريقة الكتانية، إلى أهل تطوان يدعوهم فيه لعزل المولى عبد العزيز، وبيعة أخيه المولى عبد الحفيظ، وأرسل صحبة ذلك الكتاب نسخة أصلية من نص الاستفتاء الذي رفع لعلماء فاس ومعه شهادة عبد الكبير من أهل فاس بما كانوا ينكرونه على السلطان عبد العزيز مع جواب العلماء وافتائهم بخلع السلطان المذكور وتولية أخيه المولى عبد الحفيظ⁶⁹."

أما محمد بن الحسن الحجوي، فقال في "الحق المبين"، فالشريف سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله، لا يشك أحد أنه ممن لهم اليد الحركة للثورة الفاسية الحفيظية الواقعة في 11 ذي القعدة عام 1325، ضد مولاي عبد العزيز، ولكن بعدما ثم خلع المذكور وتولية أخيه مولاي عبد الحفيظ، وجهت إلى الشريف الكتاني تهمة أنه يريد الملك لنفسه، وشاع عنه ذلك لأسباب أوغرت صدر مولاي عبد الحفيظ وكثرت الوشاية به، كاشترطه في عقد البيعة إلغاء مؤتمر الجزيرة الخضراء الشهير في تاريخ المغرب مع أنه باتفاق دول أوروبا⁷⁰.

بعد البيعة، حاول أعداء الشيخ القيام بأدوار للإيقاع بينه وبين السلطان الجديد لكنه فطن لذلك وراسل عبد الحفيظ، فرد عليه هذا الأخير مؤكدا على وطنيته وعدم الشك فيها⁷¹.

عند توجه السلطان إلى فاس قادما من مراكش توجه أبي الفيض للقائه، فكان اللقاء بمنطقة زيان وابن مجيلد، وفيه كان الاختلاف في وجهات النظر بين الطرفين، حيث أمر عبد الحفيظ الشيخ بالتوجه لمحاربة المحلة

66- أنظر شروط البيعة عند المنوني في المظاهر، وترجمة الشيخ الشهيد، وعند محمد حمزة الكتاني، مجلة منتدى الحوار، م س، ص: 18.

67- المنوني محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 1، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر 1983، ص: 48.

68- مذكرات محمد عبد الحي الكتاني، بخطه، خ. م، 13096، أوردها المنوني في اليقظة.

69- ورد في ترجمة الشيخ، م س، ص: 397.

70- الحجوي محمد بن الحسن، "الحق المبين" طبعة تونس، 1339 هـ أورده محمد الباقر الكتاني في الترجمة.

71- أنظر رد السلطان عبد الحفيظ عليه في ترجمة الشيخ، ص: 403.

العزيمية، غير أن الشيخ أبي ذلك، وعند وصول السلطان مكناس أمر بالقبض على مجموعة من أعيان المدينة من أصحاب الشيخ والاستيلاء على أموالهم، الشيء الذي كان يخالف مبدأ الشيخ أبي الفيض ولم يغني تشفعه وتوسطه لهم شيئاً⁷²، ينضاف إلى ذلك تكرر وتبرؤ علماء فاس من شروط البيعة ونسبها للكتاني، خوفاً من بطش السلطان بهم.

لقد لاحظ الكتاني تغييراً في رأي عبد الحفيظ في تنفيذ البرنامج الإصلاحية الذي بايعته الأمة من أجله، مما جعله يتوجه إليه بالنصح، ودعى الناس إلى الجهاد في مختلف المناطق والقبائل، وجميع أعيان القبائل في مكناس، ومعهم علماء المدينة وقائدها، عاقداً بذلك مؤتمراً كبيراً فيها، واتفق في هذا المؤتمر على عقد الصلح بين قبائل البربر، وإلغاء عادة المطالب بالدم، والاتلاف والإتحاد...⁷³.

الشيخ الكتاني لم يتلقى إلا الوعود من طرف السلطان على مطالبه بتنفيذ شروط البيعة، مما جعله يعلن في مجالسه أن البلاد على وشك الاستعمار، إن لم تفكر في مصيرها، فواصل دعوة القبائل المغربية للجهاد ضد الفرنسيين، وهي حلقة أخرى من حلقات الصراع الخفي بين المترجم والسلطان، وزاد من حدة ذلك النقاش الحاد الذي كان يدور بين الطرفين في مجالس الحديث الذي كانت تعقد بالقصر السلطاني (مثل الخلاف حول الزيادة على الأربع في الزوج، ومسألة حياة الأنبياء والطعن في التصوف والصوفية...⁷⁴).

المولى عبد الحفيظ كان يعتبر شروط الشيخ بمثابة تحجيراً لسلطته وتطاولاً عليه، الشيء الذي أدى إلى أن ساءت العلاقة بين الطرفين، زاد من ذلك استغلال الموفق من طرف أنصار فرنسا للإيقاع بين السلطان وشيخ الطريقة الكتانية.

أعلن السلطان عبد الحفيظ في يناير م 1908 تنكره لمقررات الجزيرة الخضراء، لكن الدول الكبرى رفضت الاعتراف به إلى أن يوافق على مقررات المؤتمر، وأثناء اجتماع عقد بتاريخ 18 أكتوبر 1908م بقصر السلطان، حاول الكتاني تفسير ذلك معلناً أن السلطان ما دام يحضى بدعم شعبي فهو غني عن أي اعتراف دولي، وإن كان لابد من تطبيق الإصلاحات المقترحة بالخزيرات فلتكن بدعم الماني⁷⁵.

72- الكادلي محمد، محمد بن عبد الكبير الكتاني، الشهادة والشهيد، مجلة منتدى الحوار م س، ص: 145، أنظر كذلك: المظاهر المخطوطة، ورقم 107 (محققة).

73- خبيطة الكون، م س، ص: 35-36.

74- ترجمة الشيخ الشهيد، م س، ص: 417 - 418.

75- بياض الطيب، مجلة زمان، م س، ص: 35.

ولما أعلن المولى عبد الحفيظ قبول شروط الدول الأوربية في 7 دجنبر 1908م، أدرك الشيخ أبي الفيض تنكر السلطان لشروط البيعة، فقرر الخروج من فاس إلى قبيلة ايت بوسي في جبال الأطلس، الشيء الذي استغله خصومه، وعلى رأسهم القنصل الفرنسي والوزراء المساندين له، الذين أقنعوا السلطان أن الشيخ يحضر لانقلاب جديد، فتم القبض عليه يوم 17 مارس 1909، وتوجه له تهمة عصيان السلطان.

بعد إحضار الشيخ إلى فاس قابله السلطان عبد الحفيظ بحضور العلماء والأعيان، فكانت مناظرة بينهم وبين الشيخ، ليصدر الأمر باعتقال أبي الفيض، رفقة أفراد من عائلته، وتم جلده حتى وفاته يوم 13 من ربيع الثاني لعام 1327هـ.

4. الآراء الفكرية والإصلاحية للشيخ أبي الفيض

محمد بن عبد الكبير الكتاني كان يؤمن بكل مسلم، بأنه مكلف بمهمة في حياته، ولم يكن يعيش لنفسه، ومن أجل مصالحه الشخصية، بل كان مستميتا في الدفاع عن الدين، والوطن والقيم الإنسانية العليا، وإصلاح وتهذيب النفس، كونه شخصية صوفية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فقد كان مؤسسا لطريقة صوفية ربانية، ومرشدا وداعيا ومربيا.

الشيخ الكتاني تصدر للتدريس والدعوة لله بروح الصوفي الفاني في حب الله ورسوله، وناشرا مبادئ الأخلاق والفضيلة وواجب المسلم إزاء وطنه بالوقوف في وجه الفتن الداخلية (بوحمارة والريسوني)، وجاهد وقام كل أنواع التدخلات الأجنبية.

انصبت أفكاره وآرائه الفكرية والإصلاحية حول كشف معوقات الإسلام وانحطاط الأمة بقوله: "إن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع: إهمال من نبغ فيهم كاتباً أو شاعراً، أو مشيراً أو صانعاً يحسن صنعة التجبيص أو البناء، أو الأواني أو الثياب أو صاحب صوت حسن، أو تتحاش إليه الخلق، يرمونه رمية واحدة، عن قوس واحد، ولم يكن صدر الإسلام كذلك"⁷⁶. وكذلك الصدع بالحق كسبب من أسباب انحطاط الأمة في رده على من يزعم من خصومه أن الأمر بالمعروف ونهيه عن المنكر، يسقطهم من قلوب الخلق: "ليتوهم أهل الحجاب أن أمرهم بالمعروف، ونهيه عن المنكر، يسقطهم من قلوب الخلق، وهو وهم كاذب"⁷⁷.

⁷⁶ - رسالة المواخاة، ص: 48.

⁷⁷ - رسالة المواخاة، ص 44-45، أنظر كذلك ترجمة الشيخ، م س، ص: 111.

ومن أسباب انحطاط الأمة أيضا: ذكر الأحكام مجردة عن أسرارها، وقول أهل الفروع: هذا تعبيدي، هو عجز منهم عن بيان الحكمة والسر، والشرع كله مكشوف لأهل العلم بالله ليس عندهم فيه شيء غير معقول المعنى (ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)⁷⁸. وكذا في عدم العمل على كتب الحديث في باب التأديب والتهديب، والأخلاق والآداب والمعايشة⁷⁹.

آراؤه شملة تأنيبه من يهمل الجانب الإنساني بقوله "لم تبق إلا الأغراض والشوائب، والحظوظ والرياسات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يحصد منها الإنسان ثمرة... وكل من يقوم مع حظوظ نفسه وشهواته وأغراضه، فقد أهمل الإنسانية وأوضاعها. وكل من لا إقدام له على المعالي والمعاني، والتجرد عن الأحوال الشخصية، فلم يظهر شرف الإنسانية، إذ من خاصة الإنسانية: الشهامة والاقدام بل من خواص الحيوانية أيضا"⁸⁰.

الشيخ أبي الفيض كان متشعبا بأفكار رائدة، في جميع الميادين، جسدها في رسائله (الرسائل الكتانية)، التي كان يهدف من خلالها تحقيق أهداف تربوية ودينية، ففي ثورته على المجتمع يقول: "نجد المسلمين كأنهم ملل لا يتوارثون، يعرض هذا بوجه ويعرض هذا بوجه، وفي الحديث: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحاربوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"⁸¹. وفي رسالة بعثها إلى أتباعه بفاس سنة 1314 هـ دعى إلى الثبات على المبادئ: "اعلموا اخواني أن عنوان المجد، والشرف وترجمان السعادة الابدية، والقرب المعنوي من رب الأرباب، وبرنامج رضا الله الأكبر هو: الثبات في باب الله تعالى وعدم التزلزل عن بابه إذا بدت النكبات والنزلات"⁸².

اهتم في آرائه الفكرية والإصلاحية بالمجتمع بحيث دعا القبائل المتصارعة فيما بينها إلى التصالح ونسيان العداوة، لأن المرحلة دعت إلى التكتل ضد الأجنبي ومحاربه لا التقاتل بين أفراد المجتمع المغربي الذين تجمعهم وحدة الدين واللغة والتراث، فكانت دعوته إلى مؤتمر وحدوي في مكناس بتاريخ 12 صفر 1326 هـ / 1908 م، يقول في إحدى رسائله: "إلى الاخ... سيدي عبد الحفيظ الفاسي... وبعد فغير خاف عنك ان موجب نهضتنا من طرفكم السعيد الميمون إلى حضرة مكناسة الزيتون وهو ما ثبت لدينا من اضطراب وتفاهم قبائل حوزة... وأزعجنا

78- ترجمة الشيخ، ص: 112.

79- الرسائل، ص: 61.

80- ترجمة الشيخ، ص: 111.

81- الرسائل، ص: 58.

82- رسالة بعثها الشيخ سنة 1314 هـ إلى أتباعه بمدينة فاس.

الأمر إلى تدارك استصلاحه انتهازا للفرصة في نجاحه.... استدعينا القبائل المذكورة... ولم يتخلف منهم أحد والله حمدي وثنائي وشكري....⁸³، علاجه لداء الفرقة والاختلاف نجده في "العهد الكتانية" المسماة ب "سفن النجاة وكهوف العباد"⁸⁴.

أشارت جريدة "لسان المغرب" إلى مؤتمر مكناس بقولها "انعقد الجمع بمكناس يوم الأحد بدلا من يوم السبت فاجتمع، في ذلك اليوم في جامع القصبه - رؤساء قبائل زمور ومجاط وجروان وبنو مطير وزعير، وحضر معهم سيادة الشيخ الكتاني، والشريف سيدي محمد الأمراني، والباشا ابن عيسى حاكم مكناس، فأول شيء فعلوه أنهم عقدوا الإخاء والاتحاد بين القبائل المذكورة، تاركين جميع ما كان بينهم من الحقوق والدماء، تأمينا للطرف وحفاظا للنظام ثم تعاهدوا على أن من خرج عن الدين والجادة واستبدل الإيمان بالكفر، فليس هو منهم في شيء...⁸⁵.

وذكر المنوني قولاً عن أحمد سكيرج "وكانت إقامته بمكناس الزيتون لإتمام النصر للحضرة الحفيظية، ذا جد واجتهاد في ذلك يحض القبائل على الجهاد، وحفظ جميع المسالك مما عسى أن يقع من التعدي والفساد، في الأرض والبلاد"⁸⁶.

كانت له آراء في المجال التعليمي والتربوي، بحيث كان يدعو إلى وجوب التعلم وتحصيل العلوم الدينية والصوفية والاطلاع على مصادرها وشروحها، بقوله في إحدى الرسائل: "إياك أن يفوتك وقت الزاوية، فإن الصلاة فيها مقبولة، وإياك أن يفوتك أول الوقت فإن فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا... وللاماكن سرعة من سرعة الفتح وبطئه كما يعلمه أهل فتح الجوارح."⁸⁷ يضيف، "ولا نعذر أحدا من أهل العلم بالزاوية أن يكثر سواد العلم وسواد الدين وسواد النسبة، فإن من فيه أهلية للتدريس يدرس، ونعزم عليه ذلك، من ليس فيه أهلية، فيلزم القراءات بالجد والحزم، ويحفظ المتن ويكثر من المطالعات والمراجعات والمذكرات، فإن لك لذة الدنيا قبل لذة المعرفة بالله تعالى، وقد كادت البلاد أن تشغر من العلم، ويجب أن يجتمعوا كلهم ويحضروا النسخ، ويفتحوا

83- المظاهر، 506/2 والملحق 78، حضر هذا المؤتمر إلى جانب الاعيان وسكان القبائل باشا مدينة مكناس الحاج بنعيسى بن حم السرعيني ثم البخاري، فخطب فيهم الشيخ الكتاني، وحضهم على نسيان الخصومات بينهم، وندبهم الى جمع كلمتهم، حتى يكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن الوطن ضد المد الأجنبي. انظر معطيات هذا المؤتمر عند المنوني "المظاهر"، ص: 363 وفي الملحق 66، ص: 367.

84- مطبوعة ضمن رسائل الشيخ الكتاني، تحقيق: حمزة الكتاني، من الصفحة 267 إلى 279.

85- جريدة "لسان المغرب"، العدد 31، الصادر يوم الجمعة 1 ربيع الأول 1326 / 3 أبريل 1908، الصفحة 2 منه، أنظر كذلك الذب عن التصوف، م س، ص:

24.

86- المظاهر، م س، ص: 364.

87- جريدة "لسان المغرب"، العدد 31، الصادر يوم الجمعة 1 ربيع الأول 1326 هـ/ 3 افريل 1908، الصفحة 2 منه. انظر: الذب عن التصوف، م. س، ص: 24.

"جمع الجوامع" في وقت و"التلخيص" في وقت والشيخ الطيب في وقت، ويتعاهدوا جميعا، ولا يراعوا رئيسا ولا مرؤوسا، فإن الله لا يعبد ولا يتقرب إليه إلا بالعلم، وتفقدوا المتكاسل منهم والمتقاعد⁸⁸.

شملت دعوته كذلك تعليم المرأة رغم أن المجتمع المغربي في ذلك الوقت كان مغلقا على نفسه، لذلك اهتم ابو الفيض بتعليم المرأة وتوعيتها، ويعطي أمثلة بذلك في كتابه "أشرف الأمانى" كون أمه كانت امرأة عارفة بالله⁸⁹، وزوجته كانت فقيهة وحافظة لكتاب الله يقول: "وكان ينبغي أن يجعل الولاية للنساء فقهاء، أولياء يؤمنون على النفوس، والأعراض والعورات، ويقومون بتعليم النسوة، فالمرأة لا تحضر مجالس التعليم والتأديب، والولاية لا يلتفتون لذلك، والزوج لا يعتني بما يصلح، فمن يعلمها؟ ولذلك ورد: "يلقى الله عبد يذنب أعظم من جهالة أهله"⁹⁰.

أما رأيه في الحرية فيقول: "وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب اليوم من النفوذ في العالم، فإنما وصلوا لذلك بأمور منها، الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط، والعدل والنصح، وعدم المحاباة والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل منصب وما يطلبه، وعدم إهمال بعضها، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ، وعدم إهماله حقه، وعدم رفضه... بخلاف غيرهم"⁹¹. علل الشيخ ما وصل إليه الأجانب من تقدم ونفوذ في العالم بإعطاء الحرية وتطبيق العدل...

لذلك نجد الشيخ الكتاني يبدي آراءه الإصلاحية للسلطان عبد العزيز ووزراءه، وعلى رأسها إحداث جيش عسكري مغربي منظم على شاكلة الجيوش الأوروبية، كما نادى بجلب خبراء عسكريين من البلاد الإسلامية المستقلة كالدولة العثمانية لتدريب العناصر المغربية وتنظيمها وتزويدها بأحدث الأسلحة، وطالب بفرض التجنيد الاجباري على كل مسلم، عارضا طريقته الكتانية وهو على رأسها للانخراط في الجيش المغربي⁹²، إضافة إلى انه كان يعلم أتباعه الرماية، وأعلن استعداد الأمة المغربية للتبرع بالمال الكافي لذلك، غير أن بعض الوزراء كانوا دائما حجر عثرة في سبيل دعوته الإصلاحية.

88- الكتاني محمد الباقر، ترجمة الشهيد، م س، ص 30.

89- لابنها الشيخ عبد الحمي الكتاني " ترقية المريرين بما تضمنته السيدة الوالدة من أحوال العارفين"، وهو موجود بمكتبة علي الكتاني.

90- أشرف الاماني، م س، ص: 121، أنظر كذلك: رسائل الشيخ الكتاني، ص: 37-61.

91- ترجمة الشيخ، م س، ص: 111، انظر كذلك: المصادر، ص: 48.

92- نفسه ص: 371.

عمله الوطني وآراؤه الإصلاحية واصلها الشيخ في فترة الدعوة الحفيظية التي فجرت شعورا وطنيا في كل من مراكش وفاس، حيث خرجت أصوات علنية تدعو إلى الإطاحة بالمولى عبد العزيز، والتتديد بسياسته التي أضاعت منطقتي توات وفكيك واحتلال عيون بني مطهر ووجدة والدار البيضاء، لتتكلم هذه الثورة ببيعة المولى عبد الحفيظ بشروط كانت من اقتراح الشيخ الكتاني⁹³. ووافق عليها العلماء، كما أن هذه الشروط تعتبر أن الأمة مصدرا للسلطة في السياسة الداخلية والخارجية⁹⁴، وهي فقرة تشير لمطالبة بالملكية الدستورية.

الشيخ الكتاني يعتبر أول من دعى إلى ملكية دستورية فهو واضع شروط البيعة الحفيظية، وذلك عبر دعوته إلى نظام الشورى بقوله: "وإذا أردتم إبرام أمر، فليكن شورى بينكم، وليس أحد منكم أحق بالإيثار بالحق من الآخر، فمن لاح على لسانه الحق، فليتبع"⁹⁵. يقول كذلك: "إذا عرض ما يوجب مفاوضته مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية، فلا يبرم أمرا منها إلا بعد الصدع به للأمة، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدر في دينها، ولا في عوائدها، ولا في استقلال سلطانها..."⁹⁶.

مطالب أبي الفيض الإصلاحية كانت في مجملها تتمحور حول إرجاع السيادة المغربية للمغاربة وتطهير المغرب من دنس الحمائيات، واستشارة الأمة والرجوع إليها، وأخذ رأيها في كل الأمور.

لائحة شروط البيعة الحفيظية يمكن القول عنها أنها تتماشى وتطلعات النخبة المثقفة الوطنية في تلك الفترة والتي كانت تهدف إلى المحافظة على استقلال البلاد وحمايتها من التكالب الأوربي.

لذلك وفي فترة انتقال الحكم من المولى عبد العزيز إلى المولى عبد الحفيظ قام الشيخ الكتاني بمراسلة السفارات والبعثات الأجنبية المتواجدة بطنجة بإمضاء كبار العلماء، يطلب منهم الوقوف بحياد تجاه ما يشهده المغرب من أحداث، وعدم التدخل في سياسته الداخلية، وكذلك مطالبة فرنسا بإخراج جيوشها من البلاد، ذاكرا أن الأعمال التي قامت بها في البلاد مخالفة للمواثيق والعهود الدولية "لأن بقاء الدولة الفرنسية على تقدمها في الحدود، وإقراض المال لمن ذكر، ونجدته تعده الأمة المغربية فتحا لأرضها، وإخلال بالمعاهدات الدولية، وقطعا لفتح

⁹³ - وردت هذه الشروط كذلك هند محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي في رسالته "غنية الأنجاد في مسائل الجهاد" مخطوط م، 12313، ص: 92-

99.

⁹⁴ - المنوني، م س، ص: 344.

⁹⁵ - الرسائل، ص: 55-56. أنظر كذلك: ترجمة الشيخ، ص: 113.

⁹⁶ - ترجمة الشيخ، ص: 113.

أبواب التجارة بالمغرب وزيادة للثورات والهجمات، والتزامي من الطرفين... وتعد (الأمة المغربية) التقدم في الحدود إظهارا للعداء وإخلالا بالمعاهدات والحقوق الدولية..⁹⁷.

هذه الرسائل السياسية هي وسيلة لكشف نوايا الدول الأجنبية من طرف أبي الفيض من جهة، والجهاد ضدها من جهة ثانية عبر تحريض القبائل على محاربة تدخلات فرنسا في الأراضي المغربية، وتهنئتها كلما انتصرت، كقبائل الشاوية. وهو ما كانت تعيبه عليه جريدة "السعادة" بقولها: "الكتاني لم يتعود أن يحجم أمام كبار الأفعال، فجمع جمعه في القرويين وعددهم ما يقارب الخمسة آلاف، وخطب فيهم قائلاً: "يجب أن نرسل ما هو مجموع في فاس باسم الجهاد إلى مولاي الحفيد، وأن احمله معكم اليه، غير انه من الواجب علينا الاحتياطات قبل السفر، حتى لا ينقلب علينا الحال، فالحالة تقضي أن نقبض على الجزائريين والحمايات الأجنبية، ونودعهم السجن، حتى ينجلي الفرنسيون عن وجدة، وان نجبر اليهود على دفع ما عندهم من مال ليستعين الإمام به على صوائر القتال حيث إنهم كانوا وما زالوا السبب في ادخال الأجانب إلينا في كل زمن وحال... " فأمن القوم كلهم لكلام الشيخ الخطيب، وخرج الكتاني وأتباعه يعربد في الأسواق، ويهدد، ويتوعد، فانزوت اليهود في الملاح وشدت أبوابه...⁹⁸.

لم تقف آراء الكتاني عند ذلك، فقد كان شيخ الزاوية الكتانية يجاهد ويقاوم كل أنواع التدخلات الأجنبية، وكان له دور فعال ضد الحملة الإعلامية الفرنسية، التي جاءت باسم جريدة "السعادة" التي كانت تعادي السلطان عبد الحفيظ ولا تعتبره سلطانا شرعيا على المغرب، حيث نشرت مقالا بعنوان "الطاعن في الدعوة الحفيظية والداعي إلى إبطالها ومناصرة المولى عبد العزيز الملك الشرعي"⁹⁹.

لذلك نجد المترجم يحض العلماء على التصدي لتلك الكتابات "وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت، أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام في الحقيقة لأهل الملة، فكان ينبغي لهم ان يضعوا تأليفا - ولو أن تشترك فيه جمعية دينية- ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه، وينسب الكتاب لجمعيتهم، في أسرار الشريعة المطهرة... ويطبوعوا هذا التأليف مجانا لله ولرسوله وشكرا للأمانة، وحفظا للإيمان في قلوب الأمة، ورعيا للوطن ومقابلة للحرب بالسلم، وادحاضا للأباطيل وعرقلة لمساعيها بالحجج الدامغة، ويطبوعوا منه الآلاف من

⁹⁷ - ترجمة الشيخ، م س، ص: 396-397.

⁹⁸ - جريدة "السعادة" مقال بعنوان: "اتقوا الله في الأعناق والارزاق"، مؤرخ بيوم الأحد 14 محرم 1326 هـ / 16 فبراير 1907.

⁹⁹ - كتب هذا المقال رئيس تحرير المجلة وديع كرم الماروني في عددها: 11-12-1908.

النسخ، ويفرقونه في الدنيا لله، ولو وقع مثلها، لحدثت أمور في العالم خيرية وسماوية، ولكن إهمال القرائح وعقمها أنتج نتائج وخيمة لا تحمد، فأنيبوا إخواني، وأحابي وتداركوا ما أمكن تداركه¹⁰⁰.

دعوته على إصدار جريدة وطنية تشترك فيها جمعية دينية لمواجهة الجرائد الأجنبية، كانت تتم عن وعيه وتقطنه لنوايا فرنسا، وعلى إثرها أصدر أول صحيفة مطبوعة على الحجر وهي جريدة "الطاعون" سنة 1906م¹⁰¹، في شكل مجلة مختصرة، وزعت بانتظام على السفارات الأجنبية وعلماء المغرب بالمجان، داعيا إياهم إلى قراءة الصحف الأجنبية والدفاع عن حقوق المغاربة، والوقوف في وجه كل الفسدة سواء مغاربة أو أجنب.

جريدة الطاعون الصادرة بمدينة فاس كان يعبر فيها الشيخ أبي الفيض عن آرائه وأفكاره الإصلاحية، ويرد فيها على الصحف الصادرة في طنجة خاصة جريدة "السعادة"، التي تدافع عن عبد العزيز وتعتمد على القرآن والحديث لتبين أن الجهاد غير مناسب في الظروف الحاضرة، ولترد فيه على فتاوى علماء فاس، وكانت هذه الصحف تنتقل إلى المناطق المؤدية لعبد الحفيظ بواسطة البريد الأوربي وخاصة البريد الفرنسي¹⁰².

كان الكتاني في طباعته للجريدة يجمع عددا من الفقهاء، ويعطي كلا منهم أوراقا بحجم جريدة صغيرة ليملي عليهم رده على صاحب "السعادة"، مستعرضا أخطاء عبد العزيز وفشله في إدارة شؤون البلاد، وفي القضاء على ثورة بوحمارة والريسوني، وبعلاقته مع الأجنب¹⁰³.

كما كان الشيخ الكتاني يكتب آرائه في جريدة "لسان العرب" ويقدم لها الدعم المادي والمعنوي، لكن هذه الأخيرة اشتراها عبد الحفيظ أواسط عام 1327هـ / 1909م، وأمر بتوجيهها إلى مدينة مراكش حيث تفككت أجزاؤها¹⁰⁴.

5. أبو الفيض ومكانته في الساحة الفكرية والنضالية.

¹⁰⁰ - الرسائل، ص: 66 أنظر كذلك، ترجمة الشيخ ص: 114، أنظر كذلك محمد خير فارس، المسألة المغربية، ص: 177.

¹⁰¹ - تعد جريدة "الطاعون" أول جريدة وطنية صدرت بالمغرب، وإذا كانت أول نشرتها مخطوطة فإنها أصبحت - فيما بعد- تنشر بالمطبعة الحجرية بفاس، وكان عدد صفحاتها 4 صفحات ومقاسها 24-8 سنتيم، وأما المطبعة الحجرية التي تسهر على عملية الطبع فهي مطبعة الذويب. أنظر: زين العابدين الكتاني، رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، ص: 58، ورسالة فتح الجوارح، محمد بن عبد الكبير الكتاني، (مخ)، ص: 1.

¹⁰² - الكتاني زين العابدين، الصحافة المغربية، ج 1 / 181.

¹⁰³ - نفسه، ص: 181.

¹⁰⁴ - المظاهر م س، ص: 462.

لقد برز مطلع القرن العشرين نخبة وطنية مغربية من علماء وشيوخ وشباب، وطبقات شعبية يؤلف بينهم جميعا الشعور بواجب الدفاع عن البلاد، والعمل لتحسين ظروفها، شعور اتسم بطابع إسلامي وطني كان عنوانه الجهاد - بالقلم أو السلاح - ضد المطامع الأجنبية، ومن أجل العمل لرقى البلاد، وهي ظاهرة استمرت حتى بعد فقدان المغرب لاستقلاله.

الشيخ الكتاني كان ضمن النخبة العالمية في ذلك الوقت، تميز بقوة اليقين والصبر، وتبحره في المعارف وعوالم الصوفية، مدركا لمتطلبات تطوير الحكم في البلاد وفي مقدمتها وضع دستور والتصدي للتكاليف الاستعماري عبر حرصه على إحياء سنة الجهاد.

يعتبر ابي الفيض، من الأسماء التي أوقظت الذاكرة الدينية والوطنية نظرا لما قدمه للبلاد، فهو يعتبر إلى جانب العديد من المفكرين والاصلاحيين على رأس أول جيل رافض لانهاية الدولة المغربية، ورافض للاستعمار الفرنسي.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الإصلاحية، كانت امتدادا للاتجاهات الإصلاحية بالمغرب الحديث التي تزعمها الحاج محمد بن المدني كنون شيخ القرويين والحاج علي بن سليمان الدمناتي في مراكش، والشيخ عبد الله بن إدريس السوسي في طنجة، والشيخ المفضل بن الهادي ابن عزوز في مكناس وغيرهم من الذين يعتبرون امتدادا للنهضة الإصلاحية التي بدأت من المشرق والتي تدعو إلى الرجوع للسلفية الأولى.

لذلك يعتبره العديد من الباحثين، زعيما للحركة الدستورية في المغرب، والداعية الأولى للملكية الدستورية، وواضع أسس أول دستور مغربي سنة 1906م، وفي حقه قال المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي: "اقترب استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة، وهي أمة المغرب، كما هو معلوم عند كل أحد من المغاربة المعاصرين مثلي للشيخ الشهيد ولل قضية بكاملها"¹⁰⁵.

لقد دفعت ظروف البلاد والأزمات التي مر منها المغرب إلى قيام الشيخ الكتاني بالمزج بين كل التخصصات سلوكا وعلميا وعملا، وهنا كانت أدواره الإصلاحية، مجسدة في وقوفه ضد الاحتلال الفرنسي لسنوات، وقيامه برسم خريطة حدودية بين المغرب والجزائر، وانتفاضه لاحتلال وجدة والدار البيضاء، ودعوته للجهاد ... وكشفه

لأسباب انحطاط الأمة الإسلامية، وسبل النجاة عبر رسائل عديدة كان القصد منها تحقيق أهداف تربوية ودينية وسياسية.

لكن مسألة اتهامه بمحاولة إرجاع الحكم للأداسة بسبب الثورة على المولى عبد العزيز، وفرضه لشروط مقابل الموافقة على بيعه المولى عبد الحفيظ أجم عليه الحاقدين والرافضين لأفكاره وتدخلاته الإصلاحية، ومن أبرزهم فرنسا وأتباعها وجريدة " السعادة"¹⁰⁶.

وفي هذا الصدد استبعد عبد الله العروبي زعم محاولة إرجاع الحكم من طرف الشيخ محمد الكتاني للأداسة¹⁰⁷، كونها روايات أجنبية مشبوهة جاءت لتشويه تاريخ المغرب خدمة للمصالح الاستعمارية، وإساءة لتاريخ المجاهدين والوطنيين الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل تجنيب المغرب ويلات الامبريالية الأوربية، لذلك فنحن مطالبين ببذل جهود مضاعفة لكشف النقاب وإزالة الغبار عن المخطوطات والوثائق المتضمنة للتاريخ الوطني في سبيل تكذيب الكتابات الأجنبية وإظهار الحقيقة.

6. مؤلفاته:

للمترجم مؤلفات كثيرة لم يطبع منها الشيء الكثير (حوالي 27 مؤلفاً)، وفي اتصال مع أحد حفدة المؤلف (الدكتور حمزة الكتاني) أخبرني أنهم بصدد طبع عشرة أعداد في الأشهر القادمة. وتجدر الإشارة إلى أن للشيخ أبي الفيض أزيد من ثلاثمائة كتاب أوردها نجله محمد الباقر الكتاني:

ومن المؤلفات المطبوعة نجد:

- الإجازة الطرقية وشروط وأركان الطريق، تحقيق حمزة بن علي الكتاني، ضمن سلسلة من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، طبع بمصر 1321 هـ، و بالأردن - دار الرازي عام 1420 هـ.
- البحر المسجور في الرد على من أنكروا فضل الله المأثور، طبع بدار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق اسماعيل مساوي، 2006.

¹⁰⁶ - أنظر حول ذلك، أحمد بن خالد الناصري، "الاستقصا..." ج 4، طبعة الدار البيضاء، ص: 144.

¹⁰⁷ - أنظر حول ذلك رسالة مرقونة عن الزاوية الكتانية والمجتمع والمخزن 1855 - 1912، لعبد الاله جريد، جامعة محمد بن عبد الله، فاس 1997 - 1998، ص: 481، وما يليها.

- الأمانى في علم الأمهات، تحقيق حمزة بن علي الكتاني ضمن سلسلة: من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، ط 1، دار الرازي.
- ختمة البخاري، طبعة حجرية، 1324، بفاس.
- رسالة المؤاخاة، تحقيق حمزة الكتاني، ضمن سلسلة من رسائل الإمام.
- سلم الارتقاء، في نشأة التصوف ووجوب شيخ التربية، طبع بدار الكتب العلمية، بيروت 2006، ذبلا للبحر المسجور، تحقيق اسماعيل مساوي.
- خبيئة الكون في شرح الصلاة الأنموذجية، ط فاس، (د.ت).
- اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية، ط حج، فاس، 1323 هـ.
- الاستيذان في تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا"، طبعة فاس (د.ت).
- أدل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات، طبعت بفاس، (د.ت)، ثم طبعت بمصر.
- أسرار الاستعادة، طبعت بفاس، سنة 1325 هـ، طبعت في أوائل "السر الحقي الامتثاني"، في شرح ود المترجم.
- حزب البسط، ط حج، فاس، 1313 هـ.
- الحكم الإلهية والمحمدية، ط حج، طبعت بفاس سنة 1323 هـ.
- الورد الكتاني، مطبوعات مشيخة الطريقة الكتانية، بسلا 1404 هـ / 1954 م.
- الوصايا الكتانية، تحقيق حمزة بن علي الكتاني.
- المولد النبوي، مطبوعات مشيخة الطريقة الكتانية بسلا 1402 هـ.
- مزج الصلاة الانموذجية، طبعة حجرية، فاس (د.ت).
- الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية، طبعت بدار الكتب العلمية بلبنان، تحقيق اسماعيل الموسوي.
- لقطة عجلان، شرح الصلاة الأنموذجية، طبعت بفاس سنة 1314 هـ.
- 7. المخطوطات:**
- البحر المسحور، مخ، ضمن، مجموع، خ ع، بالرباط 2804.
- حديقة الجنان، مخطوط، ضمن مجموع، خ.ع بالرباط، رقم: ك 2405.

- الحزب السيغي، مخ ضمن، خ ع، بالرباط، ك 2808 ود 6151.
- الديوانة، مخ، ضمن مخ، خ.ع بالرباط، تحت رقم: ك 2804، ود 1736، ومخ ضمن مجموع، خ.ح، بالرباط رقم 10327، وبخزانات أخرى خاصة.
- سلم الارتقاء، مخ، ضمن مج، خ.ع، الرباط، تحت رقم: ك 2804.
- الاستباقات إلى حضور صلة الحق سبحانه للموجودات، مخ ضمن مج، خ ع بالرباط، رقم: ط 10327.
- شرح الصلاة الأنموذجية المسمى "روح القدس"، مخ ضمن مج، خ.ع، بالرباط، رقم: ط 2732.
- شروط الورد، مخ، ضمن، مج، خ.ع، بالرباط، رقم: ك 2804.
- كتاب في التصوف، مخ، خ.ع، بالرباط، ك، ك: 3213.
- الياقوت والمرجان في العلم المحمدي، مخ، ضمن مج، خ.ع بالرباط، رقم: ك 2804.
- البيان المسدد لمن أنكر التعبير بأحمد بدل محمد، مخ، بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني بسلا.
- القول الشافي والبيان الكافي في أن فاعل القبض في الفريضة غير جافي توجد نسخة منه بخط المؤلف، في خزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.
- مجموعة الرسائل الى الافاق، توجد مجموعة منها بخط الفقيه العارف، سيدي مصطفى الزاودي، في أحد عشر مجلدا، بخزانة الاستاذ زين العابدين الكتاني.
- النهر المزدب، في شرح خطبة "ميارة" على المرشد، توجد منه عدة نسخ، بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.
- الولاية الذاتية، توجد منه عدة نسخ بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.
- رسالة في ضبط الحدود بين المغرب والجزائر.
- مجموعة الرسائل الآفاق، توجد مجموعة منها بخط الفقيه مصطفى الزاودي، في أحد عشر مجلدا، بخزانة الأستاذ زين العابدين الكتاني.
- كشف اللثام في سر الصيام، توجد نسخة بخزانة الشيخ محمد الباقر الكتاني.
- بيان الأوقات في حكم تضييع الأوقات، باللعبات المسماة بالكارطة والضامة، وما شاكلها مما ينطبق عليه اسم الميسر، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
- تأليف رفع اليدين في الصلاة، توجد نسخة مصورة بخط يد الشيخ محمد الكتاني في الخزانة العامة.
- الرسالة الملاخية، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

- الطلاسم في الكمالات المحمدية، مخطوط عند حفدة المؤلف.
- اللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية. مخ.
- إزاحة الأتراح، عما يختلج وهم المبسل جهرا من إيهام خلاف النجاح من الآي القرآنية والأحاديث الصحاح، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
- الجوابات العظيمة عما أشكل في القرآن في حق المقام المحمدي.
- التيسير والظفر في التفضيل بين الملك والبشر، توجد نسخة منه بخزانة محمد الباقر الكتاني.

آراء العلماء في الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني

كتب العديد من العلماء ونوهوا بمكانة وأهمية الزاوية الكتانية وشيخها محمد الكتاني، ومن أهمهم الشيخ ماء العينين الذي كتب كتابا في الثناء عليها وعلى صاحبها، والمؤرخ الحسن بوعشرين الخزرجي المكناسي ثم المراكشي في كتابه "التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب" بقوله: "لهم تلك التصلية، فإن طائفهم لا بأس بها، وشيخهم هذا له تأليف عديدة كثيرة وهو حافظ منور مفتوح عليه بلا شك، مع اقتبال سنه، وفتوة عمره، تعرفه بالاسم والعين وهو شريف كتاني ووالده سيدي عبد الكبير بن محمد لا زال في قيد الحياة بفاس، وهو من الخيرة والتودد للناس بمكان، وعليه رونق وطلاقة، ولهم تلامذة كثيرون بفاس وغيره"¹⁰⁸.

قال عنه الشيخ النبهاني في "جامع كرامات الأولياء"¹⁰⁹، "أبو الفيض الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي، السيد الشريف، العلامة الإمام الولي الكبير، أحد أفراد العصر ونوابغ الدهر. وقد بلغني من الثقات الصادقين أنه من أولياء الزمان، وأوعية العلم والعرفان، وأن له كرامات وخوارق عادات، أعظمها: اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وظاهر حاله يدل على صدقه في ذلك، فإنه بعد أن أدعى هذه الدعوى الصادقة تفجرت من صدره ينابيع العلوم الشرعية والمعارف الإلهية، فقررها في الدوس في الملاء العام، وأطاب بها النفوس بحضرة العلماء الأعلام، فلم له صحة دعواه الولاية الكبرى الخاص والعام، سوى من غلب عليهم الحسد لعدم بلوغهم هذا المقام، ومن دأبهم الاعتراض على أولياء الله الكرام، وأنا أصدقه وأومن بولايته، وأسأل الله تعالى ألا يحرمني من بركاته...".

¹⁰⁸ - بوعشرين الحسن الخزرجي المكناسي، "التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب"، تقديم وتصحيح العلامة الفقيه محمد المنوني، نشر الرباط، ص: 158-159.

¹⁰⁹ - النبهاني يوسف بن اسماعيل، جامع كرامان الأولياء، مركز أهل سنة بركات رضا فورنيدرغجرات (الهند)، ط 2001، ج 1، ص: 377.

أما عبد الحفيظ الفاسي الفهري فقال عنه في "معجم الشيوخ"، "صدر من صدور عصره، عالم متبحر، حافظ من حفاظ الحديث، بصير بمعانيه وفقهه، متمكن في علم التفسير والأصليين والكلام متبحر في التصوف، غواص على دقائقه... مثابر على نشر العلم ذؤوب على تقريره وتدريسه، لا يخلوا وقت من أوقاته من الخوض في مسائله، حر الفكر والضمير، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه مقندر على إقامة الحجة وإقناع الخصم والاستيلاء على أفكاره، بما أوتي من قوة العارضة، والقدرة على البيان، والبراعة في الاستدلال، وفصاحة اللسان، وثبات الجنان، لم يبلغ أحد من أهل عصره، بعد الشيخ ماء العينين، مبلغه في إقبال الخلق وبعد الصيت وشهرة الذكر في المشرق والمغرب"¹¹⁰.

بينما قال عنه محمد بن عبد الكريم الخطابي: "اقترن استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة، هي: أمة المغرب، كما هو معلوم عند كل أحد من المغاربة المعاصرين مثلي للشيخ الشهيد وللقضية بأكملها... ليس من الغريب في حق مثل هذا الشيخ الشهيد، بأن يقف مثل هذا الموقف من الفرنسيين ومن السلطان عبد الحفيظ، من العلماء الذين كانوا يقفون في وجهه ويعاكسونه في دعواه للكفاح على الرغم من الخطر الذي كان يهدد بلادهم... أما موقف شيخنا الشهيد الكتاني، فكان هو القيام بالواجب وتأييد المكافحين والمناضلين، فلو توقف السلطان عبد الحفيظ، ولو اهتدى علماء المغرب الذين كانوا يخاصمون الشيخ ويخالفونه، لو كان هؤلاء اهتدوا لما كان يدعوا إليه الشيخ، لكانت الأمة المغربية كلها من ورائهم بلا شك ولا جدال."¹¹¹

أما شهادة الفقيه محمد الحجوي فجاءت في مؤلفه "الحق المبين والخبر اليقين بما في قرطيس حجة المنذرين بما يخالف الدين"، أن الشيخ لم يكن يطلب الملك، وإنما هي تهمة ملفقة، وهناك شهادة دونها الكاتب الانجليزي walter B. Harris- le maroc au temps des sultans، جاء في (ص: 289) والتي تحدث فيها كشاهد في حادثة ارجاع محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى فاس، وعان فيها بنفسه ظروف اعتقاله ومن معه من أهله واتباعه من الزاوية الكتانية ومأساة اعتقاله واغتياله، ويؤكد أن أطروحة طلبه للعرش، مجرد ذريعة لقتله، ويحكي تاريخ استشهاد محمد بن عبد الكبير الكتاني في 20 مايو 1909 هـ (13 ربيع الثاني 1387 هـ)¹¹².

110 - الفاسي عبد الحفيظ الفهري، معجم الشيوخ، المطبعة الجديدة بفاس، ج 1، ص: 45.

111 - أنظر تقديم محمد بن عبد الكريم الخطابي في كتاب ترجمة الشيخ، م س، ص: 52-53.

112 - أوردها الوالي محمد العلمي، خطاب الإصلاح الديني السياسي الصحفي للزاوية الكتانية، مجلة منتدى الحوار، م س، ص: 17.

قال عنه مفتي الشافعية بمكة أبو علي حسين بن محمد الحبشي اليمني الباعلوي في آخر إجازته لنجله الشيخ محمد المهدي الكتاني "أنه من ذوي العلوم الواسعة والحقائق الجامعة، الذين علت همتهم، وتسامت في العلوم الظاهرة والباطنة رتبهم، الواصل الموصل إلى طريق الحق والصدق واليقين، البدر السامي المقدار الظاهر كالشمس في رابعة النهار، العارف بربه، المستغرق فيه بقلبه، من أرجو باتصالي به الخير، وزيادة النور والبركة ودفع الضمير سيدي محمد...¹¹³."

أما أبو شعيب الدكالي فقال عنه: " الشريف الأصل، العالم الأمثل، الحافظ اللافظ، الذي كرع من بحري الشريعة والحقيقة حتى ارتوى، سيدي ومولاي عبد الكبير الكتاني الحسني، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين"¹¹⁴.

محمد المنوني اعتبره داعية للسلفية الأولى في المغرب، ومصلحا اسلاميا بالمغرب وعلى مستوى العالم الاسلامي¹¹⁵. بينما عبد الله العروي، تحدث عن مبادراته الإصلاحية وعن دوره في البيعة الحفيظية، وأثنى على مواقفه المتجلية في تشجيع مريديه من قبائل زمور وزيان، على محاربة الاستعمار رغم مناوئة بعض شيوخ الطرق له، وبذلك كان الوحيد من بين معاصريه -يقول العروي- الذي وحد بين المعارضين بالبادية والمدينة، وهذا هو السبب في الانتشار السريع لطريقته¹¹⁶.

تحدث عنه كذلك أبي العباس أحمد بن الطيب الجازي القاسمي في "الغنيمة الفريدة، ذات البها والحلل الجديدة"¹¹⁷. وأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي المرדاسي في طبقات الكتانيين طريقة: قسم أعيان

113 - الذب عن التصوف، م س، ص: 22-23.

114 - أورده الكتاني محمد الباقر في "ترجمة الشهيد"، ص: 244.

115 - المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 2 / ص: 375، الباب: 5 و 7 و 8.

116 - أنظر العروي عبد الله في كتابه:

- Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830-1912. P 388.

117 - ترجم المؤلف في أرجوزته "الألفية" للشيخ محمد الكتاني، واستهلها بذكر زمرة من عيون الشعبة الكتانية، ليعقب بنسب المترجم وسيرته وطريقته، ومؤلفاته، وأوضاعه الصوفية، والأرجوزة تقع في 42 ورقة من حجم متوسط بخط ناظمها، وهي مخطوطة توجد نسخة منها عند حفدة المؤلف، أنظر المصادر العربية لتاريخ المغرب 108/2، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى: 294، وقد خرجها وحققها أخيرا حمزة بن علي الكتاني.

المريدين بفاس للمؤلف¹¹⁸. وأبي عبد الله محمد بن محمد بن المعطي العمراني في روضة الجنان، ومسامرة أهل الإيمان، فيما لشيخنا الإمام أبي الفيض من الخصوصية وكمال العرفان¹¹⁹.
شهادة العلماء والوطنين في حقه تبين مدى تفاني الشيخ في حبه لوطنه، ومنافحته عن استقلاله وتماسكه، الشيء الذي جعله يدفع حياته ثمنا لهذا الإخلاص والوفاء.

لائحة المصادر والمراجع

- اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ابن زيدان، مطابع اديال، الدار البيضاء، ط 2، 1990.
- اتحاف المطالع، عبد السلام بن سودة، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1419 هـ 1979 م.
- أحكام أهل الذمة، محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق حمزة بن علي الكتاني، طبعة دار البيارق.
- أحكام أهل السنة، حمزة بن علي الكتاني، طبعة دار البيارق.
- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، طبعة الدار البيضاء، دار الكتاب 1418 هـ / 1997 م.
- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، زكي مجاهد، دار الغرب الاسلامي، ط 2، 1994.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام، عباس بن ابراهيم، تحقيق عند الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1980.
- الإعلام للزركلي، دار العلم الملايين، ط 7، 1986.
- بيان الآفات في حكم اللعبات المسماة بالكرطة والضامة، مخطوط في خزنة حفدة المؤلف.
- ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المسماة: أشرف الأمانى بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، أبي الهدى محمد الباقر الكتاني، تقديم محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق نور الهدى عبد الرحمان الكتاني، ط 1، 1426 هـ / 2005 م، دار ابن حرم للطباعة بيروت، لبنان.
- التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، الحسن بوعشرين الخزرجي المكناسي، تقديم وتصحيح العلامة الفقهية محمد المنوني، نشر بالرباط.
- جامع كرامات الأولياء، النبهاني يوسف بن إسماعيل، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، ط 1، 2001 مركز أهل سنت بركات رضا فوريندر عجرات (الهند).
- جريدة السعادة، مجموعة من الأعداد.
- الحق المبين، محمد بن الحسن الحجوي، طبعة تونس 1339 هـ.

¹¹⁸ - للعلامة ابن الحاج تأليف في مجلدين، خصص الجزء الاول منه لترجمة الشيخ محمد الكتاني، والجزء الثاني منه في شرح الورد الكتاني (طبقات الكتانيين، طريقة: قسم أعيان المريدين بفاس للمؤلف مسودة المخطوط).

¹¹⁹ - هذا المؤلف للعمري عبارة عن ترجمة للشيخ محمد الكتاني، توفي صاحبها دون إكمالها وهي مخطوطة في خ. ع، تحت رقم: ك 1012 ضمن مجموع من ص: 282 إلى 308، أنظر المصادر العربية لتاريخ المغرب للمنوني 109/2.

- حقيقة التصوف وأهدافه عند الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد، مجلة أنوار التصوف المغربية، عدد 12014، الرباط، المغرب.
- خبيئة الكون: شرح الصلاة الأنموذجية في المعارف الإلهية والأحمدية، أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- خطاب الإصلاح الديني السياسي الصحفي للزاوية الكتانية، محمد العلمي الوالي، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام ابن سودة، دار الفكر 1997.
- الزاوية الكتانية والمجتمع والمخزن 1855 - 1912، عبد الاله جريد، رسالة مرقونة جامعة محمد بن عبد الله فاس 1997 - 1998.
- زهر الآس في بيوتات فاس، عبد الكبير بن هاشم الكتاني، تحقيق علي الكتاني، منشورات مطبعة النجاح الجديدة 2002.
- سلوة الانفاس، محمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية بفاس.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424 - 2003.
- الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الامام المجدد، يوسف الكتاني، مجلة السنة النبوية، عدد 11، طبعة مارس، 2015، دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
- الصحافة المغربية نشأتها وتطورها، زين العابدين الكتاني، ج 1، مطابع فضالة المحمدية.
- غنية الأنجاد في مسائل الجهاد (رسالة)، محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المكناسي، مخطوط خ. م، 12313.
- الفرصة الثمينة، محمد بن الحسن الحجوي، مخطوط بالخزانة العامة رقم: 114.
- الفكر الإصلاحية في عهد الحماية، آسية بنعدادة، المركز الثقافي العربي 2003.
- فهرس الفهارس، عبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، ط 2، 1982.
- في الذكرى المئوية لاستشهاد زعيم الحركة الدستورية في المغرب "الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني"، محمد حمزة بن علي الكتاني، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006.
- كمال العرفان (عبارة عن ترجمة للشيخ محمد الكتاني)، ابي عبد الله محمد بن محمد بن المعطي العمراني، مخطوط في الخزانة العامة رقم ك 1012 ضمن مجموع.
- محمد الكادلي، محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهادة والشهيد، مجلة منتدى الحوار، عدد 28 فبراير 2006.
- محمد الكتاني الشيخ ذو المحنتين، الطيب بياض، مجلة زمان المغرب كما كان، عدد 15 أبريل - 15 ماي 2014.
- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، محمد بن عبد الكبير الكتاني، ج 2، ط 1، دار لسان العرب بيروت.

- المصادر العربية لتاريخ المغرب، محمد المنوني، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر 1983.
- المظاهر السامية في السنة الشريفة الكتانية، عبد الحي الكتاني، مخطوط.
- مظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني، ط 1، 1405 هـ - 1985 هـ، الجزء 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر دار الغرب الإسلامية، بيروت لبنان 1971.
- معجم الشيوخ، (أو ما يسمى رياض الجنة)، عبد الحفيظ الفاسي الفهري، المطبعة الجديدة بفاس ج 1.
- المعسول، محمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، البيضاء 1982.
- من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق حمزة الكتاني وغسان أبو صوفة دار الرازي، الأردن 2002.
- النبذة اليسيرة النافعة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد الفاتح الكتاني وعصام عرار، طبع ببلنجان سنة 1989.
- Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830, abdellah laroui, casablanca centre culturel orale 1993.